مجلة أبعاد
مجلد 11، العدد 02، 2024
ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

التوجهات الدينية في الأحياء الهامشية
مقاربة أنثروبولوجية للتيار السلفي والتيار الصوفي في حي كوشة الجير - وهران

Religious Orientations in Marginal Neighborhoods: An Anthropological Approach to the Salafi and Sufi Movements in the Kousha el-Jir Neighborhood – Oran

بوناب محمد الأمين* Bounab Mohamed El Amine | انثروبولوجية حضرية | جامعة وهران 2/محمد بن أحمد– (الجزائر)
bounab.mohamed@univ-oran2.dz
مهدي سويح Mehdi Souieh | علم الاجتماع | جامعة وهران 2/محمد بن أحمد– (الجزائر)
souiah.mehdi@univ-oran2.dz

****

تاريخ الإرسال:2024/09/11 | تاريخ القبول: 2024/12/27 | تاريخ النشر: 2024/12/31

ملخص:

تتناول الدراسة الممارسات الدينية في حي كوشة الجير بوهران، مع التركيز على التيارين؛ السلفي والصوفي. استخدمت منهجية الملاحظة المباشرة لجمع البيانات وتحليلها من منظور أنثروبولوجي. الهدف هو فهم تجليات هذين التيارين في المجتمع المحلي. يظهر التيار السلفي اعتماده على المرجعية العلمية وتطبيقًا صارمًا للشريعة، بينما يركز التيار الصوفي على التجارب الروحية والتقرب إلى الله من خلال الذكر والصلاة وزيارة الأولياء. تعكس النتائج التوترات والصراعات الناتجة عن الاختلاف بين التيارين، مما يسلط الضوء على تعقيد الدين في الحياة اليومية بالحي.

الكلمات المفتاحية: السلفية؛ الصوفية؛ التصوف؛ الطقس؛ الهوامش الحضرية.

Abstract:

The study addresses religious practices in the Kousha El Jir neighborhood in Oran, focusing on the Salafi and Sufi movements. It employed a methodology of direct observation to collect and analyze data from an anthropological perspective. The aim is to understand the manifestations of these two movements within the local community. The Salafi movement is

* المؤلف المراسل: bounab.mohamed@univ-oran2.dz

characterized by its reliance on scholarly references and a strict application of Sharia, while the Sufi movement emphasizes spiritual experiences and drawing closer to God through remembrance, prayer, and visiting saints. The results reflect the tensions and conflicts arising from the differences between the two movements, highlighting the complexity of religion in daily life within the neighborhood.

Keywords: Salafism; Sufism; mysticism; rituals; urban margins.

1. مقدمة:

أصبح التدين حينما يتعلق الأمر بالدين الإسلامي يفرض نفسه داخل المدينة المعاصرة، ما نلاحظه أن ارتباط التدين كممارسة إجتماعية ببعض التيارات الدينية، السلفية والصوفية بشكل خاص، محاولين فرض نسقهم القيمي داخل الفضاء الحضري، وذلك من خلال ما يملكه هذا الأخير من تشكيلات للحياة الحضرية في الوقت الراهن .رغم كل ذلك فهذه التيارات واكبت هذا التحديث الجديد، فارضة منطقها داخل المدن وفي ضواحيها، ومنذ الثورات الإسلامية مثل الإصلاحات الدينية في بلاد المشرق، ظهور جماعة الإخوان المسلمين، ثم بعد ذلك الثورة الإسلامية في إيران، كل هذا سيجعل أقلام الباحثين تحاول رصد هذه الظاهرة بشتى أشكالها .هناك تيار سلفي يستمد مرجعياته وأفكاره وعقائده من السابقين في الإسلام السلفي، وهناك تيار موازي ومخالف للسلفية وهو التيار الصوفي الشعبي الطرقي، والذي يمكننا إعتباره التيار التاريخي للمجتمع الجزائري، بما فيه مجتمع الدراسة .تجدر الإشارة أن التيار الأول جاء نتيجة الإنتفاضات التي ظهرت في الحجاز من طرف الحركة الوهابية، وهي من أجل محاربة الصوفيين .يمكننا ملاحظة هذا الخلاف الذي يعود إلى القرن18 م على مسرح الفضاءات التي تشكل المدن الحديثة .فمن خلال الرجوع إلى التاريخ، والتذكير بظهورهما أولا، ثم التوغل داخل ميدان الدراسة بحي كوشة الجير في وهران ثانيا، هو بمثابة محاولة الوصول إلى الهدف المراد بلوغه من خلال هذا النص، والإجابة على السؤال الذي تم صياغته على النحو الآتي: ما هي مظاهر التدين لكل من الصوفيةوالسلفية في حي كوشة الجير؟، وعليه سنحاول في هذا المقال الإحاطة بالتيارين السلفي والصوفي كتفكير وممارسة وصراع، وذلك من أجل إبراز صورة هذين التيارين من الزاوية الأنثروبولوجية، حيث لن تعمل الأنثروبولوجية على نفي التدين لكليهما ولا أن تحاكمهما أمام التاريخ، إنما تعمل على فهم هذين الأخيرين وإعطاء معاني ودلالات ورموز الخطابين السلفي والصوفي، حيث سيكون كل طرف يتمثل تدينه الخاص على أنه

هو الصحيح، وذلك بالإستناد على عدة مرتكزات مثل الشيوخ والعلماء الذين يوجهون كل طرف في مساره التديني، أين يتلقون ذلك عبر الفتاوى والحلقات الدينية، وكذا التظاهرات التي تنظم من طرف كلا التيارين. إن محاولة تأثيرهم العقائدي والإجتماعي من خلال ما يمارسونه في الفضاء الحضري وداخل المسجد، أصبحت تلاحظ بشكل يومي، ما يعبر في الأخير عن مفهوم الصراع حول تملك الفضاء المقدس والفضاء العام، أين يتمظهر الهدف من وراء ذلك، هو العمل على كسب الرهانات التي يعملون من أجل تحقيقها مستقبلا .

2. وصف منهجية البحث

سنحاول كوننا نعيش في حي كوشة الجير بوهران، أين يوجد هذين التيارين، ما سيساعدنا ذلك على تقديم بعض الملاحظات الإتنوغرافية في الميدان، وذلك من أجل الربط المنهجي بين التدين السلفي والتدين الصوفي عند هؤلاء الممارسين، وكذاالتشبث بإرثهم الديني عن طريق الممارسات اليومية، ومدى إستمرار ذلك في واقعنا المعاصر، وذلك عن طريق الملاحظة المباشرة لهما، أين سيتم رصد ذلك، سواء من داخل مضامين خطاب الحياة اليومية عندهم، وكذابعض الممارسات الملاحظة عند أولئك الشباب السلفيين، والشيوخ الصوفيين، والطقوس المرتبطة بتدين كل منهما.إن عملنا المنهجي فرض علينا للوصول الى ماهو مطلوب منا في هذا العمل، هو إختيار الإثنوغرافية، والتي تتمثل في "وصف الحقائق والأفعال(Copans, 2002, p. 9) "، حيث ستكون عملية وصف ورصدوتحليل ما توصلنا إليه، هو ما سميناه بالمقاربة الأنثروبولوجية.أما في الجهة المقابلة ستكون الأنثروبولوجية كمفهوم مهم في هذا العمل، حيث تعرف إصطلاحا أنها هي العلم الذي يعمل على فهم الإنسان بطريقة شاملة، متغلغلا داخل كيانه الروحي، وذلك لفهم المعاني التي يقدمها لأفعاله، وماذا يريد من ورائها.هنا نجد أنهما مفاهيم مهمة جدا في هذا العمل، معتمدين في ذلك على تقنية الملاحظة المباشرة. إن السلفيين والصوفيين في الحي، يقدمون معاني لممارساتهم اليومية عن طريق الخطاب الديني، وكذا تلك التظاهرات الدينية المنظمة خاصة من طرف الصوفيين، والمتمثلة في مختلف الطقوس، فكان هذا هو المسار المنهجي المساعدلنا من أجل الوصول إلى هؤلاء الفاعلين ضمن هذه التيارات، وذلك من أجل وضع مقاربة أنثروبولوجية لهما داخل الحي المدروس.

3. إثنوغرافية الحي الهامشي:

ميدان الدراسة هو حي كوشة الجير الهامشي بوهران، والذي يعتبرمن الأحياء اللارسمية بالمدينة، هو إمتداد لمنطقة رأس العين بلونتور، على سفوح جبال مرجاجوا يقع، كان يقطنه الكثير من المغاربة إلى جانب الجزائريين حتى سنوات ما بعد الإستقلال، وذلك من خلال ما تدل عليه بقايا السكنات المبنية بالحجارة، وكذا بعض العوائل المغربية التي لازالت تقطن به.سمي كوشة الجير نسبة الى شركة الجير، والتي تأسست زمن الإستعمار الفرنسي حيث تقع في قلب الحي. يوجد به أعراش وقبائل تمثل نظام القبيلة في معناه الحقيقي، وذلك نظرا لإنحدار الكثير منهم من مناطق ريفية، لازالت سمة القبلية والتشبث بالأصول، هي من أساسياتهم الهوياتية، وهو ما يتضمنه خطابهم، بل وممارساتهم اليومية داخل الحي، فتجد الصوفيين يميلون إلى هذه المعتقدات المرتبطة بالقبيلة والأولياء الصالحين، بينما السلفيين لا يتقبلون مثل هذه المعتقدات، أين ينعتونها بالخرافات .

4. الصوفية كهوية:

قيل عن الصوفية" وأما من جعل الصفة والصوف من خصائصهم فإنه أشار إلى أحوالهم وذلك لأنهم أناس تركوا الدنيا وهاجروا البلدان)"(ظهير، 1986، ص 21)، أي هنا تأكيد واضح على أن الدنيا في معانيها المادية، ليست من أولويات المتدين الصوفي، فيلجأ إلى العزلة، وهي أن يذهب إلى مناطق بعيدة عن أفراد المجتمع حيث يتعبد بمفرده، وهنا يصطلح عليها بالخلوة والزهد، ففي حي كوشة الجير، نجد أن هناك الكثير من المغارات الجبليةالتي لاحظناها بشكل مباشر أثناء العمل الميداني، أين كان المتصوفة القدماء يتعبدون فيها، ولازالت تلك المغارات محل زيارة من طرف من ينتمون الى هذا التيار، وفي إعتقادهم وتمثلاتهم أنه تبرك بهذا الفضاء، إن الدعاء في هذا الفضاء هو من أجل الحصول على أجر معنوي روحي يزيد في درجة هذا المتصوف حسب تصوراته، وما تمليه عليه عقائده الدينية، وهنا نلاحظ تشابه مع تلك الخصوصيات التي كانت في الديانات القديمة، وذلك من حيث شكل وطريقة التعبد، وإن كان هنا إختلافات في مضمونهما، إنها تذكرنا بطقوس الديانة البودية في الهند، نسبة لبودا العابد الهندي، والذي كانت له صفات تعبدية لها تشابه مع الممارسات الصوفية.لقد قيل الكثير حول تعريف الصوفية، في صفاء النفس، ولبس الصوفي للجلابة واللباس الخشن الذي كان يصنع من الصوف، وهو يعتبر إلى زمننا الراهن بمثابة علامة ورمزية أنثروبولوجية مقدسة عند المتصوفة، وهنا

نستشهد من خلال العمل الإتنوغرافي عبر الملاحظة المباشرة بكلام أحد الشيوخ المتصوفة داخل حي كوشة الجير، حيث كان هناك كلام حول الأولياء الصالحين، فتكلم على موضوع اللباس الذي يميز الزاهدين في هذا التيار تاريخيا وهو يرمز للشخصية الصوفية حيث قال : "الجلابة تاع الصوف كان الصالحين يلبسونها في موسم الصيف رغم الحر"وهذا تعبير منه على تلك الرمزية الدينية التي تربط الصوفي بهويته من خلال اللباس، والتي مازال يتشبث بها رغم كل ما تشهده المدينة المعاصرة من تحولات إجتماعية وثقافية وتحضر على جميع المستويات، إلا أنه ما يميز الشيخ الصوفي في حي كوشة الجير، هو أنه ما زال يلبس هذا اللباس خاصة في المواسم الدينية التي تتعلق بهذا التيار، وعلى سبيل المثال عند تنظيم طقوس الوعدة *فتكون الهوية بحضورها المادي تظهر بشكل مباشر كرمز لهذه السيرورة التاريخية والراهنة، وهذا ما فهمناه من خلال العمل الميداني، وأن هناك هوية يريد هؤلاء الصوفيين في الحي التعبير عنها من خلال كل ما يظهر من طرفهم أثناء تنظيم طقوسهم، وكذا من خلال ملاحظتنا لهم أثناء خطاب الحياة اليومية داخل الحي.

5. التصوف عند سكان كوشة الجير:

التصوف هو تطهير الأنفس من الخطايا مثل تطهير الجسد من الأدران، هذا ما يعبر عنه شيوخ الصوفية في الحي المدروس، وهو طريق المحافظة على تاريخ الأولياء الصالحين حسب معتقدهم، حيث يعتبر كل من الشيخ سيدي بومدين دفين تلمسان، والشيخ سيدي أحمد التجاني صاحب الطريقة التجانية التي تعرف منتمين لها بأعداد كبيرة في قارة افريقيا، والشيخ سيدي محمد بن عمر الهواري وغيرهم من المؤسسين التاريخيين للمذهب الصوفي في الجزائر خاصة، بمثابة منارات يهتدي بواسطتها الكثير من الصوفيين إلى غاية هذه اللحظة، حيث لازال سكان حي كوشة الجير من أولئك المتصوفة يتشبثون بهؤلاء الأعلام، تعبيرا عن الحفاظ على هذا التدين وطقوسه، ومن بين الممارسات التي لازالوا يواصلون على تأديتها، هي زيارة مقام الولي سيدي الهواري، ومغارة مولاي عبد القادر في أعالي جبال مرجاجو بوهران، خاصة يوم السبت والثلاثاء والجمعة، حيث يردد بعض الممارسين خطابا يعبر على أن هذه الممارسة تدخل ضمن" دين الأجداد"، وهو التواصل مع هؤلاء الأولياء عن طريق زيارة مقاماتهم وأضرحتهم كتعبير معنوي على العلاقة الروحية بينهما، وسمي التصوف بالإسلام الشعبي الطرقي حيث كل ولي ممن سبق ذكرهم وغيرهم يمثل طريقة تعبد وطقوس من الأذكار التي أنشأها خلال حياته، وبعد ذلك سيصبح الذين

ينتمون إلى هذه الطرق ينسبون أنفسهم إلى طريقة الشيخ الذي يتتبعون طريقه روحيا رمزيا، حيث على سبيل المثال: وقع حوار في الحي بين رجلين من التيار الصوفي فكلاهما يفتخر بالطريقة التي يتبعها" أنا قادري وأنا رفاعي" ، وهو حوار من أجل التباهي بين الطرفين، لأن هناك مسألة السلمية بين الأولياء من خلال المراتب، حيث يعتبر من هو قادري الطريقة أن الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني هو أعلى مرتبة منهم وينعتونه بسلطان الأولياء، وهذا متداول بين الصوفيين في الحي، ما يدل على أن الإنتماء لأي ولي، ليس مجرد أمر إعتباطي، بل هناك إختلافات داخل نفس التدين رغم المشترك الذي يجمع الكل، وكما قلنا سابقا أن هناك طقوس من الأذكار، والتي تعتبر مجموعة من الكلمات والأدعية التي تسمى الورد، وكل ورد له يوم من الأسبوع مخصص له، تماشيا مع ما يمليه الشيخ الذي يعتبر القائم على الطريقة المتبعة، حيث يكون هو الفاعل الرئيسي في تنظيم ساعات وأيام الذكروالتعبد على الطريقة التي يتتبعها هؤلاء المريدين، ونعني بالمريد هو التلميذ الذي يتتلمذ على يد الشيخ المسؤول على الزاوية أو الفضاء المقدس، وإمتثال المريد لشيخه تعتبر من أساسيات التيار الصوفي وله معنى أنثروبولوجي، وهو رمزية الخضوع للحاجة الملحة، تندرج كشروط روحية لنيل الطريقة والطاعة له من جهة، وتكوين شخصيته الدينية الروحية مستقبلا من أجل الحصول على مايسمى التسريح من جهة أخرى، ونعني بها يجيزه شيخه بأنه أصبح شيخا حسب هؤلاء الممارسين، حيث يرى عبد الله حمودي في هذا الصدد في بلاد المغرب الأقصى فيقول:" حيث خدمة المريد لشيخه هي واجبة، وعليه فيجب أن تنجز وفقا للقوانين التي تتحكم في العلاقة التواصلية بالشيخ مايتم تسميته بالأدب :" (عبد الله حمودي.2010 ، ص121)وهنا معنى مهم جدا في هذه العلاقة التي تجمع الطرفين ويمكن الإصطلاح عليها بطقوس العبور والمرور المرحلي، حيث كانت هناك في المجتمعات التقليدية طقوس العبور فيها معنى الخضوع لرئيس القبيلة من أجل الولوج الى مرحلة أخرى وفيما يخص المريد فهو المرور الى مكانة أعلى من مكانته وهو أن يصبح شيخا في المستقبل، وهنا يعبر الشاب عبد الرحمان في الحي الملاحظ على مسألة الخضوع لتعاليم الشيخ حيث يقول" حتى وإن كنت تعرف الحقيقة فقل للشيخ لا أعرف ولا تجادله في هذا الباب "وهو معنى التسليم الكامل للشيخ في معنى خطابهم وتعتبر هذه الطاعة المتفاوض عليها رمزيا بين الطرفين بمثابة الحتمية والنسق القيمي داخل هذا النظام والذي يجب على كل من الشيخ والمريد إحترامه وإذا ما تم الخروج عن تعاليم

الطريقة الصوفية فهذا يعتبر إنتكاسا وعصيانا يجب معاقبة الفاعل والعقاب هنا له معنى مختلف فهو من داخل المنظومة الروحية للتيار الصوفي عقاب روحي وقد يكون مادي في بعض الأحيان، حسب ما إستخلصناه من الملاحظة الميدانية المأخوذة من خلال خطابات الحياة اليومية داخل الحي من طرف المنتمين لهذا التيار، حيث يكون إتصال روحي من طرف الشيوخ وجلب المعلومات التي تنص على معاقبة المخطئ وهذا الإتصال الرمزي مع العالم الخفي والغير مرئي يكون فيه الأولياء المؤسسين لهذا التيار الطرقي حسب تصوراتهم كطرف رئيسي في معاقبة المخطئ ويرى الخطاب الصوفي في الحي مسألة معاقبة المخطئ بأنها ثابتة عندهم حسب التجربة اليومية، حيث سمعنا مقولة" غادي يعاقبوه رجال الله " وهذا سببه هو أن أحد الصوفيين إستهزأ داخل أحد الأضرحة، وهذا يعبر حسب تفسيرنا البسيط بشكل عام، حول تجسد تدين روحاني عميق، يشكل كيان ذلك الصوفي الذي تسرح نفسيته في عوالم الخفاء، أين كان يطلق على مثل هذه الممارسات عند علماء الإثنولوجيا الكلاسيكية، بالممارسات الميتافيزيقية، وذلك أثناء دراستهم لتلك الطقوس التي كانت تنظم عند شعوب المجتمعات البدائية.

6. الصوفية ومفهوم الطقس

وهنا سنحاول إعطاء مفهوم دقيق لمعنى الطقس قبل الولوج إلى الملاحظة الإتنوغرافية التي قمنا بهافي حي كوشة الجير حول الصوفية، فالطقس يأخذ معنى الشعيرة في الديانات 4" وإجمالا فالشعيرة عبارة عن مجموعة من الأفعال المتكررة والمقننة")ريفيير، 2015، ص 150)وهو فعل يؤدى في أوقات معينة بعيدا عن ماله علاقة بالحياة اليومية للأفراد أي يكون في مكان خاص ولا يؤدى فيه إلا ما له علاقة بالشعيرة والعقائد الدينية للمجموعة التي تقوم به، كتعبير رمزي مقدس على الإنتماء إلى هذه الهوية الروحية، والتي يعتقدون فيها الخلاص والحصول على ما يتصورونه لأنفسهم، وهذا ما لاحظناه أثناء حضورنا إلى بعض التنظيمات الطقوسية المهمة، والمتمثلة في الوعدة، وكذا طقوس ما بعد دفن الميت، والتي نظمت في المصلى، وكذا بناء الخيمة(القيطون)، والتي تم فيها كل ماله علاقة بهذين التظاهرتين أين تم حضور الكثير من الشيوخ والمريدين في التيار الصوفي من داخل الحي، بل حتى من مناطق بعيدة، وكانت تلك الليلة خاصة فقط بترتيل القرءان والمديح الديني والذي يصطلح عليه عندهم بإسم الجلالة أي يقول الصوفي إنني أجلل ويتوقف كل شيء تلك الليلة ماعدا الذي له علاقة بهذا الطقس، إنها الصورة الأنثروبولوجية الملتقطة من

طرفنا أثناء الملاحظة المباشرة داخل المصلى وكأنهم أثناء تأديتهم لهذا الطقس هم مثل الذي يكون أمام كرسي الإعتراف حيث يسلمون أنفسهم جسديا وروحيا لما يتطلبه من شروط هذا التنظيم اللارسمي داخل هوامش مدينة وهران أين يفرضون وجودهم العقائدي كتحدي وكثقافة يتشبثون بها منذ زمن قديم.

7. الصوفية في الحياة اليومية:

يعتبر حي كوشة الجير بوهران رغم وجوده في هوامش المدينة والتي رغم أنها عرفت تحضرا خاصة مع الوجود الفرنسي الذي أثر بشكل كبير على المدينة التاريخية من خلال المعمرين الفرنسيين ثقافيا، وكذا ما بعد الإستقلال، من الأحياء التي لم تمنع كل تلك التأثيرات التاريخية بقاء التصوف كممارسة وطقوس دينية داخل المدينة وهوامشها، وذلك لإعادة الإرث الرمزي للمدينة من جديد، والذي يعتبر متجذرا في وجدان ساكنت أحيائها ومن جملتهم ساكنة الحي المدروس، حيث عرفت التصوف منذ زمن قديم خاصة مع الولي الإمام سيدي الهواري رمز التصوف في المدينة عبر التاريخ والذي يعتبر كرمزية مقدسة عند ساكنة وهران، داخل حي كوشة الجير هناك ممارسات ضمن التصوف الإسلامي من طرف أولئك الذين يقطنون داخله وهم في أصولهم الجغرافية نجد كثيرا منهم ينحدرون من مدن داخلية ومن دواوير خاصة من مدينة غليزان، تيارت ومعسكر وهذا يذكرهم خلال الولائم داخل الحي أثناء تأدية طقوس الجنائز والوعدة بأصولهم الجغرافية وإرثهم الصوفي حيث كانت هذه الطقوس تؤدى قبل عقود من الزمن في الدوار من خلال قراءة القرءان(الراتب جماعيا)، وهي عبارة عن إلتفاف مجموعة من الشيوخ والمريدين داخل الخيمة، وهي خيمة ينصبونها أثناء الولائم تسمى القيطون، وذلك من أجل قراءة القرءان جماعيا، وهذا تعبيرا منهم على الترحم على الميت وبمثابة صدقة تقدم على روحه وهو يعبر عن خصوصية التصورات الدينية لهؤلاء الفاعلين وله معنى ورمزية التشبث بالإرث الصوفي الموروث عن الأجداد. يتسم الحي بوجود المعنى القبلي والذي يتمثل في الأعراش التي تنحدر من خارج الولاية كما أسلفنا سابقا، حيث نلاحظ تلك الفسيفساء من التنوع داخل نفس التدين، وذلك لأن كل عرش ينتمي الى نسب يحتفظ به عبر موروثه الشفوي المتسلسل أين تكون الممارسة الصوفية في بعض الأحيان ترتبط مباشرة بالجد المؤسس للعرش خاصة عند طقس الوعدة والتي تجمع في بعض الأحيان المعتقدين بإنحدارهم من هذا الولي الصالح فقط، وتكون ممارستها بالذهاب نحوى أصولهم الجغرافية الأولى أين دفن أسلافهم وهي

العودة إلى الجذور التاريخية والذاكرة الجماعية، من المدينة الى الدوار أين يعيشون تلك الروحانية الغريبة، وقد تقام فيما بعد طقوس توزيع الكسكس وهم يعتقدون أنها كصدقة على جدهم المنحدرين منه، إنها الصورة التي تشكل هؤلاء مع تدينهم الصوفي المرتبطين به والملاحظ الذي ينظر الى خطابهم وممارساتهم سيجد أن هذه الثقافة والخصوصية المتمسكين بها رغم التحولات الإجتماعية التي تشهدها المدن المعاصرة من أنماط جديدة في طريقة الحياة وتوسع ظاهرة التحضر، إلا أن هؤلاء المتصوفة يحاولون الحفاظ على خصوصياتهم الثقافية في ظل هذه الرهانات الجديدة، بحيث أنه لن يستطيع أي غريب أن يجتثهم منها كونها ثقافة روحية قد تجذرت داخل كيانهم الديني العقائدي حيث يرددون جملة" فرنسا ولم تستطيع أن تحارب ديننا فكيف بالسلفية أن يحاولوا ذلك." وما لاحظناه هي تلك العلاقة الروحية والمكانة المقدسة في العلاقة الموجودة بين هؤلاء الصوفيين والولي الصالح الذي ينتمون له روحيامن خلال الطريقة التعبدية وماديا من خلال النسب الطيني، وقد نستطيع تشبيه هذه الصورة الأنثروبولوجية بالمجتمعات البدائية في إفريقيا والتي كانت مجالا خصبا للدراسات الإثنولوجية، حيث عبادة أسلافهم وتقديس الأرواح هي خاصية تعبر عن تدين هؤلاء البدائيين ولهم علاقة تنظيم الطقوس وتقديم القرابين لأسلافهم الذين يتخذونهم كآلهة" وينحصر نشاط هؤلاء الآلهة البشرأحيانا في وظائف روحانية وخارقة وقد يمارسون أحيانا سلطة سياسية "(فريزر، 2011، ص 72)، وهذا حتى بعد وفاتهم ستكون مكانتهم ثابتة في المخيال الجماعي للقبيلة وهذه هي الملاحظة التي قد تكون لهاعلاقة مشتركة مع الممارسة الصوفية في الحي، فمن خلال الخطاب مثلا تكون صورة تقديس الولي الصالح فوق كل مكانة وتلك الولائم التي تنظم في بعض المرات على شكل صدقات إنما هي تعبير يحمل رمزية الإحترام الكامل بل والتخوف من حدوث مكروه قد يصيب أي فرد يعبث بهذه الشعيرة ولا تقتصر عملية تقديس الولي وسلطته في الجانب الديني فقط، فحتى المجال السياسي للولي فيه سلطة، ففي حي كوشة الجير قد يلعب الإنتماء إلى أحد الأولياء دورا مهما في مكانة الأحفاد حيث يلجأ المتخاصمين إلى الشيخ الذي ينحدر من سلالة ذلك الولي للفصل في بعض الأمور القبلية تعبيرا منهم على رمزية بقاء ذلك الدم، بل والإرث الروحي متوارثا بين أحفاده ودائما ما يضرب المثل في حديثهم عن مكانة الشيخ عبد القادر الجيلاني أحد رموز المذهب الصوفي في التاريخ في زهده وتصوفه وقضائه، وهناك مسألة الهوية والتي تعتبر مهمة عند هؤلاء الصوفية حيث الوعدة التي

تنظم عن طريق إجتماع وتعاون حفدة الولي الصالح لها عدة دلالات وتصورات داخل المخيال المشترك لهؤلاء الفاعلين وقد تكون الهوية من خلال القرابة تلعب دورا مهما في حي كوشة الجير أين لاحظنا التشبث بأبناء العمومة المنحدرين من الولي المؤسس للعرش لها ميزة هوياتية دينية وعرقية كبيرة، هذا ما أثبته الأنثروبولوجيين في الدراسات حول المجتمعات البدائية، حيث تلعب القرابة دورها الديني والثقافي في مخيال الأفراد والقبيلة بحيث" تجعل النسب مبدءا تفسيريا للعالم وللمكانة التي يحتلها كل فرد فيه " (برنارد، 2008، ص 44)، ففي الحي المدروس مثلا يعتبر المنحدر من نسب شريف له سلطة دينية مهمة في القرارات التنظيمية لمختلف التظاهرات ويعود له الكثير من الأمور في إعطاء تفسيرات حول ما يتعلق بجانب من جوانب الطقوس وهذا مرده إلى الرمزية التي يستفيد منها وهو النسب المنحدر منه، حيث يكون الشخص الذي ينتمي إلى قبيلة لها مكانة دينية ونسبية شريفة له ميزة خاصة عندالتيار الصوفي في الحي.

إن الولي الصالح يعتبر ضمن الطبقات الأولى داخل المجتمع القبلي من حيث التراتبية والخطاب الذي يسرده الصوفية في حي كوشة الجير يعبر عن هذا المعنى الثقافي الواضح، حيث هناك ربط مهم في بعض الأحيان بين الولي والنسب من خلال المرتبة، وذلك أن أغلبية الأولياء الذين تقام لهم الوعدة السنوية كطقس أنثروبولوجي هم من عائلات شريفة النسب المنحدر من النسل العلوي، وهي رمزية مهمة في الإسلام الصوفي ومن خلال ما إستمعنا إليه داخل الحي من بعض الشيوخ الذين ينتمون إلى المذهب الصوفي في هذا الصدد، هو من أجل أخذ البركة والرضى من هؤلاء الأحفاد الذين ينحدرون من سلالة هذا الولي الصالح، والذين يجري فيهم دماء أهل البيت، ويمكن لهذا الإعتقاد الذي يتمثله هؤلاء المتصوفين في مخيالهم الجماعي في الحي عندما يتشبثون بمثل هذه المعتقدات على سبيل المثال فيما يخص ممارسة زيارة قبور الأولياء، هذا ليس عملا خارج تنظيمهم الفكري الإعتقادي الديني، بل هو عمل وممارسة منظمة ولها معانيها الثقافية ورمزيتها التي يفرضها عليهم الإيمان المتوارث عبرأسلافهم حسب إعتقادهم، وكونهم في الطريق الذي سيتلقون به القبول والبركة في الحياة الدنيا والنجاة بعد الموت. إذا كان الغريب عن هؤلاء يرى في ممارساتهم هي بدائية ليس لها معنى فهم يجدون فيها الوعي بما يفعلون، بل هو السلوك الثقافي الوجودي الأنثروبولوجي الخاص بهم أين يجدون أنفسهم في قمة الرضى والخضوع لمعتقداتهم حيث أنه في هذا المنحى" وفقا لإلياد لم يعد من المناسب تفسير المقدس بإعتباره

الموقف الأساسي الذي من شأنه أن يعكس عجز رجل عفا عليه الزمن لتصور العالم بل بالأحرى بإعتباره عنصرا يشكل جزءا من بنية الوعي"(Cousineau, 1995, p. 5) ، وهذا ما يمكن إسقاطه على خطاب هؤلاء المتصوفة داخل حي كوشة الجير، وأنه يمكن تفسير هذه الخطابات حول تقديس الأولياء على أنها تشكل جزءا لا يتجزأ من البناء الفكري العقائدي لهم داخل الوعي الجماعي، ولا يمكن إجتثاثه من هذا البناء كونه هو مثل الجسد الواحد ودفاعهم عن هذا البناء والمعتقد يظهر جليا وعلى سبيل المثال ضد السلفية عندما ينتقدون ممارساتهم داخل الحي كما سنلاحظ ذلك لاحقا مع التيار السلفي في حي كوشة الجير الهامشي بمدينة وهران.

وهم يتحدثون عن مزاولة هذه الممارسات لاحظت في خطابهم أن التأكيد على أن الأولياء الصالحين هم في مراتب عليا وأرواحهم تسبح في عوالم الغيب وهناك إعتقاد راسخ في حضورهم الروحي خاصة في المكان الذي تتم فيه عملية تنظيم الوعدة السنوية لهذا الولي الصالح، إنه إعتقاد راسخ برمزية المكان الذي يوجد فيه قبر هذا الأخير وحضوره الروحي هو أمر غير مختلف فيه عندهم، إنه قمة الإعتقاد داخل المخيال الجماعي لأولئك الصوفيين وفي بعض الأحيان تسمع أحد الرجال المتقدمين في السن يطلب الرضا من أحد الأولياء لمكانته العليا في سلم التراتبية بين الأولياء وغيرهم من البشر، وقد يكون دور الشيخ في التيار الصوفي مهما في تسيير شأن القبيلة في جميع المجالات اليومية فالسنوسية في ليبيا كان لها تأثير كبير خلال مرحلة الإستعمار الإيطالي في اللجوء لها من أجل الدعم الروحي، المعنوي، وكان لها القرارات المهمة خلال تلك الفترة ومن خلال هذا فإننا على سبيل المثال نجد أنه فيما يتعلق بالطريقة السنوسية فإنه كان"الشيوخ الذين يمثلون السنوسية بمثابة فئة تؤخذ منهم البركة والقرارات السياسية المهمة وإنتفاضة القبائل ضد المستعمر الثلاثي المتمثل في الإستعمار الفرنسي والإيطالي والبريطاني" (Mekki-Berrada, 2013, p. 37)والبركة هي بمعنى جزاء روحي ودعم معنوي يأخذه هؤلاء المتصوفة من الزاوية التي تمثل الولي الصالح حيث يكون هناك بعض الشيوخ الذين يمثلون الطريقة الصوفية وتعاليمها وهنا يظهر لنا معنى أنثروبولوجي مهم من وراء هذه الممارسات وهو الإعتقاد القوي واللامشروط عند هؤلاء الفاعلين داخل التصوف الإسلامي أن للأولياء والشيوخ دور روحي مهم في المساعدة على حلحلة بعض المعضلات التي قد يعجز عنها المريد والمتعاطفين مع التصوف من خلال ما يواجهونه في يومياتهم، ومترسخ في ذهنياتهم أن هذه الطريقة ستكون

بمثابة الملجأ الذي يحتمون به رمزيا معتقدين فيها الخلاص والوجود الذي يضمن لهم سيرورة ثقافية مريحة، وكون هؤلاء القاطنين في هذا الحي تعود أغلبيتهم الى مدينة غليزان، فلا يزال ذلك التواصل الرمزي والعلاقة الدينية الروحية مع الولي الصالح سيدي أمحمد بن عودة، حيث يتذكرونه في خطاباتهم اليومية وأنه كان له دور ديني سياسي في نشر تعاليم الطريقة الصوفية والتصدي للإستعمار الإسباني في الجزائر، وهنا نستفهم أن هذا الخطاب الموجود في مخيال هؤلاء الصوفيين في الحي إتجاه مكانة الولي الصالح هو أن لهذا الأخير مساحة واسعة داخل ميادين الحياة الإجتماعية بالنسبة لهم، وليس فقط الجانب الديني، وهذا التشبث بهذا الخطاب إنما هو تشبث بالماضي القريب عندما كانوا في أصولهم الجغرافية السابقة، أين كان شيخ القبيلة له السلطة الدينية من تعليم القرءان، وكذا السياسية من إصلاح بين المتخاصمين وقضاء وغيرها، وهي رمزية تدل على الشخصية التاريخية الدينية التي تشكلت في مخيال هؤلاء الفاعلين بالتوارث عن طريق أسلافهم.

القيم والوجود هي ذات معنى مهم من خلال رؤية الوجود عند الفرد ثقافيا وإجتماعيا، فكل فرد يعمل على تشكيل بنيته الفكرية ضمن هذا النسق الذي يريد من خلاله توضيح فكرة معنى الوجود الذي يتصوره من خلال ما يظهر في ثقافته التي يتميز بها، ويرى من خلالها العالم، وهنا سوف نحاول إعطاء هذا التفسير بشكل عام لهذه الثنائية للعلاقة التي يصنعها هؤلاء المتصوفة من خلال خطاباتهم وتصورهم لمعتقداتهم، وكيف نجد فيها تلك العلاقة المترابطة مع معنى الوجود الإنساني على سطح الأرض، وأن هناك نسق غريب لايمكن تصوره بشكل دقيق في منطق هذا التفكير وهذا تشترك فيه الكثير من معتقدات الشعوب في العالم، كل من زاوية رؤيتها لمعنى الوجود حيث" إن إثبات وجود علاقة ذات معنى بين القيم التي يعتنقها الشعب والنظام العام للوجود الذي يجد فيه الشعب ذاته هو عنصر أساسي في كل الأديان"(غيرتز، 2009، ص 290)، حيث كل ديانة يحاول معتنقيها أن يختلقوا تلك العلاقة القوية المترابطة في فهم الوجود البشري وأنهم ما داموا ملتزمين بقواعد اللعبة داخل هذه الديانة فهم حسب تصوراتهم أنهم في المسار الصحيح لما يتطلبه هذا الوجود، وهنا نشير إلى ذلك الخطاب الذي يفهم من ورائه هذا المعنى حيث يجد هؤلاء الفاعلين في التدين الصوفي داخل الحي أن للولي الصالح دور مهم في الحياة البشرية وله سلطة وأنه ليس كباقي أفراد المجتمع، وهو ما يفهم منه أنه هو خطاب يحاول هؤلاء المتصوفة إيصاله برسائل مشفرة عن طريق ممارساتهم الطقوسية إلى الآخر الذي يعتبر

خارج دائرة التصوف من خلال المعنى الأنثروبولوجي الذي يقدمونه من وراء تقديس الأولياء والخضوع الأعمى لهم، حيث تجدهم داخل الحي في ردودهم اليومية عن كل هجوم لاذع ضد معتقداتهم من المخالفين لهم ومنهم السلفية، بأنهم لايعرفون معنى هذه الممارسات لأنهم غير مؤهلين روحيا لهذا الفهم، حيث يكون ذلك في خطابهم ومن أبرز الأمثلة التي تكون عن طريق الممارسة اليومية كدفاع واضح من طرف هؤلاء المتصوفة في الحي فمثلا: عندما يكون الفرد الذي ينتمي إلى هذا التيار يريد قضاء حاجياته اليومية أو يكون له مشروع يريد أن ينجح فيه فما عليه سوى زيارة أحد الأضرحة داخل أو خارج وهران والقيام بطقوس مثل: إشعال مايسمى عود القمار للبخور، والقيام بترتيل بعض الأدعية أو العلاج والرقية عند أحد الشيوخ المسرحين، ثم يقوم بتقديم بعض النقود أو مواد غذائية لأحد الفقراء الموجودين بجوار هذا الضريح، وكل هذه الطقوس المنظمة ليست دون معنى فمن ورائها هو أن يكون مشروع أو مشكلة هذا الأخير تقضى بشكل سريع ومريح، وهذا دليل على أخذ البركة والراحة النفسية وقضاء الحوائج من هذا الولي والخضوع له ليس فقط أثناء حياته، بل سلطته الرمزية ستستمر ولازالت موجودة حتى بعد وفاته وكونه رجل صالح فهو يملك المكانة الدينية في عالم الملكوت ما تؤهله لهذه السلطة حتى بعد وفاته المادية الجسدية، وهذا ما يشكل مظاهر التدين الصوفي عند سكان الحي الهامشي كوشة الجير بوهران من خلال الملاحظة الميدانية.

8. السلفية مفهومها تاريخها وتواجدها في حي كوشة الجير

"إشتقاقا تدل الكلمة على* الماضي**السلف*أو* الأجداد*عندها تدل السلفية على هؤلاء الذين يرجعون إلى السلف الصالح" (بوكراع، 2003، ص 174)، وتدل السلفية في مفهومها العام إلى التأكيد على التمسك بالأصول الأولى للإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والذي سار عليه الصحابة ومحاربة كل بدعة أو عبادة جاءت بعدهم وتعتبر خارج إطار الكتاب والسنة ما لم تتماشى مع الأصول الأولى، حيث لاحظنا في الحي المدروس بين أطراف التيار السلفي معتقد والذي أصبح كثقافة في خطابهم الديني أن هؤلاء الصوفية في الحي ليسوا في الطريق الصحيح وهم لا يمتثلون إجرائيا لما تم تعريفه في البداية وقد إبتدعوا ممارسات وطقوس ليست من تعاليم الكتاب والسنة، وأول من تصدى لهذه الممارسات في التاريخ حسبهم هو الإمام أحمد إبن حنبل ومن جاء بعده من العلماء السلفيين في قضية إستخدام العقل والتصوف من تقديس قبور الصالحين بعد وفاتهم.

9. المرجعية العلمية والدفاع عن السلف

وبعدما ترك الإمام إبن تيمية رصيدا مهما من الكتب التي تثمن أطروحة إبن حنبل في الإصلاح الديني في عصره فستعرف السلفية بعدهما تطورا ملحوظا من حيث المضمون ومن حيث التسمية خلال القرن الثامن عشر ميلادي مع الشيخ محمد إبن عبد الوهاب النجدي الذي ظهر في منطقة نجد بالحجاز زمن الدولة العثمانية في توسعها الاقليمي في الحجاز وضواحيها، فبعد مسيرته العلمية في طلب العلوم الشرعية سينتهي به المطاف في مسقط رأسه بنجد والتي إعتبرها المركز المهم في الإصلاح الديني الذي سينطلق منه كونه مكان قبيلته وأبناء عمومته لتكوين حمية دينية في مشروعه ولتقوية جيشه الإصلاحي "حيث بعدما تم ملاحظة تدهور الحالة الدينية للمجتمع وإعتراف علماء الحجاز ونجد وغيرهما من المناطق بتصرفاتهم التي إعتبرت مذمومة وبدعهم " (Abou Tamy, 2000, p. 30)، حسب الشيخ محمد إبن عبد الوهاب فرأى أنه يجب أن تكون إنتفاضة دينية إسلامية والتي سميت بالوهابية وذلك ضد الدولة العثمانية والصوفية كونهما كانا على توافق واحد في الممارسات الدينية في بلاد المشرق العربي الإسلامي والذي يرى فيهم هذا التيار أنهم إبتدعوا في الدين أي إختلقوا ممارسات دخيلة عليه ومنها رفع القبور عن سطح الأرض بأكثر من شبر، وتقديس قبور الموتى، والدجل والخرافات التي يراها مفسدة للتدين الصحيح، وإعتبرها رجعية للعصور ماقبل الإسلام أين كانت هذه الطقوس قديمة في الجاهلية حسبهم ويرى الشيخ بوزيان أحد السلفية في الحي" أن السلفية هي منهج إصلاح عقائدي أين عملت على تنقية الإسلام من الشوائب والزوائد التي أدخلت فيه من خلال الإختلاط مع الديانات الأخرى وهذا ما أفسد نقاء العقيدة التوحيدية"، والتي يراها هؤلاء السلفيين داخل الحي بعيدة عن الإسلام النقي وهذا مرفوض عند السلفية الإصلاحية لأن أساس تيارها هو التوحيد ومعنى التوحيد هو عبادة الله وحده دون تقديس البشر، وما يميز التيار السلفي عن التيار الصوفي هو الجمود والجفاء في التقديس، حيث لا تلاحظ على ممارساتهم داخل الحي الخطاب ذو الدلالات الروحية بل تجدهم يميلون إلى ظاهر الكلام فعباداتهم يغلب عليها الجانب الشكلي من خلال التأكيد على المحافظة على الصلوات في المسجد وهي صلاة الجماعة بينما يرفضون طقوس الجنائز التي ينظمها الصوفية في الحي ويكتفون بدفن الميت والترحم عليه فقط، أما باقي الطقوس فهي مذمومة عندهم كونها لم ترد ضمن الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، ويرى السلفية أن" كل معرفة

لم يكن مضمونها يتماشى ضمن ضوابط المنهج القرءاني وكذا السنة والتفسيرات على هذا الإتجاه فهي تعتبر كفر "(Lahouri, 2017, p. 39) ، حيث التفسيرات التي تستعمل فيها المنطق ويغيب فيها الكتاب والسنة فهي مرفوضة ونعني بالمعارف هنا هي التي تتعلق بالجوانب الدينية من فقه العبادات وغيره متمسكين في ذلك بما جاء عن علمائهم السابقين حيث لاحظنا أن الشباب السلفي يدافعون بكل شراسة عنهم.

تعددت الحركات السلفية في التاريخ حيث أصبحت كل حركة في مفهومها العام تركز على مجال من المجالات وتترك الأخرى وهذا ربما يندرج ضمن إستراتيجيتها في الذهاب بعيدا في مشروعها الإسلامي، ومن بين هذه الحركات السلفية البارزة نجد الحركة السلفية العلمية وهي ترتكز بشكل دقيق على الجانب الديني وطلب العلوم الشرعية والتركيز على الإصلاح الديني في العبادات ومنها التعاليم التي جاءت بها الوهابية في الحجاز حيث تركت المجال السياسي للعائلة التي تسمى ال سعود مكتفية بالجانب الديني الإصلاحي في الحجاز حيث منهجها هو الإصلاح القاعدي للمجتمع بعيدا عن الخوض في المسائل السياسية، وهذه مشاهد قد عايشتها من خلال الملاحظة المباشرة في الحي أين كان الحوار حول السياسة فنفى أحد السلفية الخوض في المسائل السياسية وأن لا شأن له بها مكتفيا بعبارة البحث عن السنةوالتوحيد الصحيح والعقيدة النقية من الزيف والبدع، هي سلفية ترتكز على منهج التصفية والتربية للمجتمع وهو مشروع بناء مجتمع على المدى الطويل حيث سيكون المجتمع والسلطة بعد مدة طويلة هو في قبضتها الدينية وهذا يعتبر كسلاح إستراتيجي عند هذا النوع من السلفية البعيدة عن العمل السياسي بشكل مباشر وظاهر، وطاعة ولي الأمر هي من أساسيات هذا التيار السلفي وهذا ما جاء على لسانهم أثناء العمل الميداني.

10. السلفية في حي كوشة الجير، ملاحظة إتنوغرافية:

ما يلفت الإنتباه من خلال الملاحظة المباشرة التي قمنا بها في الحي والتركيز على الخطاب السلفي، ففي مسألة الحضارة الغربية ليسوا بالرافضين لها بشكل كلي فهم يستفيدون منها بشكل واضح من خلال ما تنتجه من تكنولوجيا ووسائل متطورة ولكن تجد في خطابهم تلك الإستراتيجية الدفاعية عن هذه الإزدواجية في إنتقاد الحضارة الغربية والإستفادة منها، حيث يرون أن هناك جانب عقائدي ديني وهو المرتكز الأساسي للمسلم في علاقته مع الله من خلال العبادات، وهناك جانب إجتماعي دنيوي أي ما يعيشه المسلم من حياة إجتماعية خارج الأطر الدينية، فيمكنه أن يستفيد منها مالم تكن هناك معارضات بينهما، أي بين ما يستفيد منه المسلم من الآخر والعقيدة السلفية التي يتبناها هذا الأخير وهذا ما قامت عليه الحركة الوهابية في الحجاز والتي كانت تنتقد طريقة العبادات وتركز على الجانب الديني العقائدي بشكل أساسي ضمن إستراتيجيتها الإصلاحية في نجد، هي سلفية في الحي تمدح إبن تيمية ومحمد إبن عبد الوهاب في الحجاز وتعتبر كتاباتهما بمثابة التدين

السلفي السني الصحيح ووجب حسبهم إصلاح عقائد شباب هذا الحي تماشيا مع السلف الصالح للأمة وإصلاحات الوهابية المعاصرة هي إعادة الإنطلاقة الفعلية للتدين السني الصحيح عند هؤلاء السلفيين في الحي تماشيا مع تدين القرون الأولى، وأن" العودة إلى منهج السلف الصالح هي كرد صريح على تدهور المجتمعات الإسلامية تم السيطرة عليها فيما بعد بواسطة محمد إبن عبد الوهاب الذي تشبع من كتابات إبن حنبل وإبن تيمية" (Amghar, 2006, p. 68)، وهم على نهجه يسيرون فهو منطقهم الذي يحاول فرض نفسه داخل الحي عن طريق الحلقات العلمية التي يتم تنظيمها في مختلف مساجد وهران وخارجها، حيث يقومون بالحضور لها من أجل تقوية رصيدهم الديني، وهو عكس ما يقوم به الصوفية حسبهم فيما يخص مسألة تمجيد قبور الأولياء، بل ويصفون السلفية في الحي الصوفيين أثناء تنظيماتهم الطقوسية بعباد القبور والمشركين أي يعبدون شيء ثاني إلى جانب الله وهذا هو الشرك حسبهم أي هم ضد توحيد عبادة الله من خلال ممارساتهم التي يفسرها هؤلاء الشباب السلفي في الحي إنطلاقا من فتاوى شيوخهم الذين يستمعون إلى حلقاتهم عبر وسائل الإعلام وكذا الحلقات الدينية، ويرى عبد الحكيم أبو اللوز في نفس الصدد في بلاد المغرب الأقصى في تصويره لهذا المشهد أن"14 الإسلام الطرقي والذي يتمثل فيما تجذر في المجتمع المغربي من تقاليد دينية كالإحتفال بالمولد النبوي وزيارة المقابر والقيام بالحضرات الصوفية وتعظيم الأولياء وغيرها من التظاهرات التي تنافي إسلام السابقين من السلف من منظور التيار السلفي " (أبو اللوز، 2008، ص 103)، وهذا نجده في خطاب هؤلاء السلفية في حي كوشة الجير في المواجهة العقائدية مع الصوفية في نفس الحي خلال بعض التنظيمات والولائم والأعراس والتي يتم وصفها بالمنافية تماما للتدين الأصيل والشرعي وهنا يقول أحد السلفية في الحي لأحد المتصوفة" أيها المبتدع أنت بعيد تماما عن الحق والتوحيد"عندما كان هذا الأخير يستمع إلى أحد الحلقات الصوفية عبر الهاتف.

11. من المميزات التي تشكل السلفي وصراعه مع الصوفي:

من خلال الملاحظة الميدانية لأولئك السلفيين الذين يقطنون في الحي والذين يدافعون بشكل واضح عن هذا المذهب في أزقة الحي وداخل المصلى، أين تسمع خطابهم اليومي على إشكالية التوحيد يتأسس، وتنظيم الحي من خلال تربية أبناء الحي وتعليمهم عن طريق الحلقات العلمية تعاليم المذهب السني في مجابهة التصوف، وهذا الخطاب موجه للذين

يخالفونهم في هذا التيار وخاصة التيار الصوفي، حيث يعتقد السلفي في كوشة الجير أن التنظيمات التي يقوم بها هؤلاء المتصوفة إنما هي شرك بالله ويعتقد هؤلاء السلفية أن تنظيم الوعدة من طرف المتصوفة في الحي هي تشبه تأدية طقوس العبادة بشكل واضح. يتميز السلفي في الحي خلافا للصوفي من خلال اللباس حيث يرتدون القميص وهو على شكل عباءة رقيقة الشكل وسروال رقيق يصطلح عليه عندهم بنصف الساق أي ترى هذا القميص يرتفع عن قدم هذا السلفي بشكل واضح وهم ضد اسدال اللباس وهو تغطية القدمين، حيث يدل في عقيدتهم على أنه اللباس السني الصحيح، وهي رمزية مقدسة في الهوية السلفية عندهم، وفي شكل الوجه تجد اللحية بشكل كثيف ويقصون شواربهم وهذا دلالة منهم على الإمتثال الرمزي المادي لمذهب أهل السنة والجماعة، إنه الشكل الذي يتشبث به هؤلاء السلفية تعبيرا منهم على الخضوع التام للسلفية الأولى في الإسلام حيث يردد أحد السلفية أثناء الملاحظة، "من السنة هو أن يلبس الرجل نصف الساق ويترك اللحية طويلة ويقص شاربه إمتثالا لمذهب أهل السنة والجماعة "إنها الخصوصية الدينية التي يحاول هؤلاء السلفية أن يدافعوا عنها بشكل واضح وهم بهذا يمثلون معنى مشترك مع الجماعة الهوياتية في بعض الجوانب، أين تجد تلك اللغة والخطاب والمصطلحات المشتركة بينهم مثل الهوية المشتركة وحتى في أحيان كثيرة لاحظنا في مسألة الزواج من داخل المجتمع السلفي حيث يتزوجون فيما بينهم تعبيرا منهم على المحافظة على هذا التيار الديني وتقويته، وكذا إنتشاره في الحي عن طريق إستخدام الزواج الداخلي من ضمن إستراتيجيات التوسع الإيديولوجي داخل الحي الهامشي وكذا التوسع داخل الفضاء الحضري من أجل نشر تيارهم الديني.

يتعرض الصوفية في الحي إلى الإنتقاد اللاذع من طرف السلفية حيث تكون عملية طقوس الجنائز التي ينظمها هؤلاء محل جدل ونقاش حاد متهمينهم بالبدعة في الدين، وفي بعض الأذكار التي يتلفظها المتصوفة على شكل مديح ديني هي من تزيد من حدة التوتر بين الطرفين، فهي تتضمن بعض الكلام الذي له علاقة بكل ماهو روحي بعيدا عن الماديات وهو كلام له رمزية ودلالة العلاقة مع الله والوجود بشكل عام، وهذا الإشكال ليس وليد اليوم إنما هو منذ زمن الشيخ إبن تيمية الذي إتهم المتصوفة في عصره بالحلوليين وهي تعطي معنى وجودي موحد حيث نجد أن " إبن تيمية يرفض النظرية التي ترى بوحدة الوجود لإبن عربي"(Addi, 2013, p. 112) ، وهذا في زمنه أين كان في صراع مع الصوفية

وغيرهم، وفي الأذكار الصوفية هناك كلمات لهاعلاقة مع هذا المعنى خاصة في محبة الإله، وهنا نجد السلفية في الحي يمتثلون بشكل مباشر إلى إبن تيمية عندما يحاولون إتهام الصوفية بأنهم كفار زنادقة وهم حلوليين على مذهب الشيخ محي الدين إبن العربي، أين تجد الصوفية يردون عليهم بأنهم نواصب لأهل البيت وأن تيارهم الديني إنما هو صنيعة غربية ولا علاقة له بالإسلام، في المقابل لاحظنا أن طقس الجنازة عند السلفية يكتفون بدفن الميت والصلاة علية وتعزية أهل الميت وليس لهم طقوس روحية مثل الصوفية، يغلب عليهم الجانب المادي الفيزيقي في الممارسة الدينية يكتفون بظاهر الدين ولا يسبحون في التأويل فهو في ظنهم أنه خروج عن طريق أهل السنة والجماعة الذين يرفضون العقل ويتمسكون بالنص، وعلى رأسهم الإمام إبن حنبل، وهذا ما يغضب الطرف الآخر عندما يتم منع القيام بطقوس الجنازة على الطريقة الصوفية وقراءة القرءان، هو صراع متواصل داخل الحي حول المسجد والطقوس الجنائزية واللباس والأذكار حيث كل هذه المفاهيم تعتبر محل خلاف بينهما فهم ينعتون الصوفيين بأنهم أنشاوا تدينا يريدون نشره داخل الحي ووجب التصدي لهم، وهنا تظهر جدلية الصراع على تملك الفضاء المادي والروحي للحي لكل طرف وأنه في هذا الإتجاه ليشبه الصراع الذي يواجهه صاحب المسكن في محاولة جعل هويته بكل ما تملكه من ثقل ثقافي أن يبرزها في تملك مسكنه الخاص، ففي مسألة المسكن على سبيل المثال من خلال ما جاء في أطروحة الدكتوراه للأستاذ سويح مهدي حول الهوامش الحضرية بمدينة وهران في مسألة المسكن وتملكه من طرف الساكن فإن"الأمر لايعود للمقيم ليتوافق مع الفضاء لكن هو يعمل على إعادة تصميمه حسب تطلعاته ورغباته إلى غاية أن يسكنه" (p. 122 Souiah, 201)، وهنا ينطبق هذا المنطق في هذا العمل حيث يحاول كلا الطرفين من السلفية والصوفية في هذا المنحى بواسطة هذا الصراع إعادة تشكيل الحي والمسجد حسب أذواقهم الدينية الإيديولوجية، وكل طرف يحاول إبراز هويته الدينية داخل الحي مستعملا مرجعيته الدينية التي تشكل هويته في خطابه اليومي، والممارسات التي تكون أثناء بعض التنظيمات الخاصة بكل طرف لتعبر عن هذا المعنى بشكل واضح في إسقاط الهوية الدينية على الفضاء المعاش، فالحلقة في الممارسة السلفية هي من أهم التنظيمات التي يحاول من خلالها هؤلاء السلفية داخل المصلى في الحي السيطرة على الفضاء الديني في تكوين الشباب السلفي وتنشئته على منهجهم، وهو كرد فعل على الطقوس التي ينظمها الصوفية، إنه صراع التنظيمات الدينية

في الأحياء اللارسمية وصراع الهويات الدينية داخل أحد أحياء الهوامش الحضرية بوهران والتي يشكل جزءا لا يتجزأ من الفضاء الحضري للمدينة، وأصبح لزاما على الباحثين في المجال الحضري المعاصر أن لا يتجاوزوا الدين بصفته ممارسة داخل الفضاء الحضري، حيث أصبح كهوية يتمسك بها معتنقيها، يساهم بشكل مهم في صناعة واقع المدينة المعاصرة علماأن" علم الإجتماع وأنثروبولوجيا الأديان تخطوا منذ زمن السجال حول حقيقة الدين وأصبحوا يفضلون الواقع الديني"(Obadia, 2009, p. 87) ، أي الدين أصبح كواقع في الميدان وكممارسة أجبرت الباحثين على إعادة صياغة النظرة إتجاهه، وهؤلاء المتدينين في هوامش مدينة وهران في حي كوشة الجير هم بدورهم يحتاجون إلى إهتمام بما يدافعون عنه داخل الحي والمدينة بشكل عام، وهذا يساهم بشكل معين في واقع المدينة المعاصرة، وخطابهم بل والممارسة اليومية تدل على ذلك التمسك الغير قابل للتصرف فيه من طرف الآخر، والذي يعتبر غريبا عن تياراتهم التي يجدون فيها الإجابات المقنعة عن تمثلاتهم للحياة الدينية كعقيدة مع الله، وكممارسة داخل المجتمع، حيث تعتبر كل من السلفية وكذا الصوفية في الهوامش الحضرية داخل ميدان الدراسة ليست فقط طريقة تعبد مع الله، ولكن كذلك هم يساهمون من خلال علاقتهم مع الآخرين والمدينة بشكل عام في محاولة فرض منطقهم داخلها، وأن حقهم في الممارسة الدينية في الفضاء الحضري يعتبر حق مشروع لا يمكنهم التخلي عنه فهم يشكلون جزءا لا يمكن فصله عنه .

خاتمة:

توصلنافي هذا البحث إلى بعض الأفكار من خلال هذه المقاربة التي قمنا بها حول التيار السلفي والصوفي وذلك بالرجوع إلى المؤسسين الأوائل لهما أولا والذي ساهمت من خلاله عدة عوامل في ظهورهما وتمثل ذلك في الشيوخ الصوفيين والذين يصطلح عليهم بالأولياء في الجانب الصوفي، وكذا العلماء الذين يعتبرون بمثابة المصلحين والمجددين في التدين داخل الدين الإسلامي أمثال الشيخ إبن تيمية ومحمد إبن عبد الوهاب في الجانب السلفي، وأما من خلال الملاحظة المباشرة في ميدان الدراسة ثانيا داخل حي كوشة الجير، جعلنا نفهم أن هناك إختلاف من حيث التدين بين الطرفين، حيث وجدنا أن الصوفية لهم علاقة بما يسمى الطقس في الأنثروبولوجية وهي تنظيمات مادية لها معنى روحي عند هؤلاء من خلال طقوس الجنائز وزيارة الأضرحة وتنظيم طقوس الوعدة، بينما الجانب السلفي هم ضد

مسألة الطقوس الصوفية، فيظهر التيار الأول أنه تيار روحي يركز على الرموز والمعاني، بينما التيار الثاني من خلال الخطاب فهو يركز على الجانب المادي متجاوزا الطقوس والمعاني ذو جفاء واضح، وهم في صراع مستمر داخل الحي وكل طرف يريدأن يفرض هويته الدينية داخل الفضاء المشترك، إنطلاقا من عقائده ومرجعياته الدينية التي يفرضها عليه تياره الديني، وأصبح من خلال كل هذه المعطيات خاصة الميدانية أن المجال الحضري بكل ما يملكه من هوامش يحتوي على ممارسات دينية أصبحت تطرح نفسها أمام الباحثين لملاحظتها وفهم معانيها الأنثروبولوجية كونها أصبحت تفرض نفسها في تقرير وصناعة واقع المدينة .

قائمة المراجع:

- أبو اللوز، ع. (2008). *تصلب الإيديولوجيا السلفية الجديدة*. *مجلة إضافات*، العددان الثالث والرابع (صيف وخريف). ص 103.
- عبد الله حمودي.الشيخ والمريد.النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة.يليه مقالة في النقد والتاويل.ترجمة عبد المجيد جحفة.الدار البيضاء المغرب.الطبعة الرابعة.2010. ص121
. برنارد، ك. (2008). *أزمة الهويات: تفسير تحول* (ترجمة رندة بعث، الطبعة الأولى، نوفمبر). المكتبة الشرقية. ص 44.
. بوكراع، ل. (2003). *الجزائر الرعب المقدس* (تقديم إرقيه بورج، ترجمة أ.د. خليل أحمد خليل، الطبعة الأولى). المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار. ص 174.
- . غيرتز، ك. (2009). *تأويل الثقافات* (ترجمة د. محمد بدوي، مراجعة الأب بولس وهبة، الطبعة الأولى، ديسمبر). مركز دراسات الوحدة العربية. ص 290.
- . ريفيير، ك. (2015). *الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان* (ترجمة وتقديم أسامة نبيل، الطبعة الأولى). المركز القومي للترجمة. ص 150
- .ظهير، إ. إ. (1986). *التصوف المنشأ والمصادر* (الطبعة الأولى). إدارة ترجمان السنة. ص 21.
- . فريزر، ج. ج. (2011). *الغصن الذهبي* (ترجمة محمد زياد كبه، مراجعة سعد البازعي، الطبعة الأولى). هيئة أبوظبي للثقافة والتراث. ص 72

Copans, J. (2002). *Introduction à l'ethnologie et à l'anthropologie* (Éd. Nathan, Impression 9. 1996). Nathan. p. 9.

Cousineau, F. (1995). *Architectonie: Espace sacré* (Communication accompagnant l'œuvre 10. présentée à l'Université du Québec à Chicoutimi comme exigence partielle de la maîtrise en arts plastiques). Bibliothèque Paul-Émile-Boulet. p. 5.

11. Mekki-Berrada, A. (2013). *Le concept organisateur de baraka, entre thérapie et herméneutique dans les traditions ethnomédicales marocaines*. Presse de l'Université de Laval. p. 37.

12. Obadia, L. (2009). *Discours et religion: Approche synoptique en sociologie et anthropologie*. *Langage et société*, 130(4), 83-101. Éditions de la Maison des Sciences de l'Homme. p. 87.

13. Souieh, M. (2015). *Espace périphérique: Urbanité et lien social, approche anthropologique de

Ain El Beida, Sidi El Bachir et El Amel, quartiers oranais* (Thèse de doctorat sous la direction de Abdelkader Lakjaa). Université Oran 2, Département de Sciences Sociales. p. 122.
14. Lahouri, A. (2017). *Le nationalisme arabe radical et l'islam politique: Produits contradictoires de la modernité*. Barzakh. p. 39.
15. Abou Tamy, A. I. H. (2000). *L'imam Mohammed Ibn Abdel-Wahab: Ses croyances, sa réforme* (2e éd., traduit par Dr. Khadim M'Backe). Agence des affaires des imprimés et de la publication. p. 30.
16. Addi, L. (2013). *Deux anthropologues au Maghreb: Ernest Gellner & Clifford Geertz*. Éditions des Archives Contemporaines. p. 112.
17. Amghar, S. (2006). *Le salafisme en Europe: La mouvance polymorphe d'une radicalisation*. *Politique Étrangère*, (1), 65-78. Institut Français des Relations Internationales. p. 68. Disponible en ligne à https://www.cairn.info/revue-politique-etrangere-2006-1-page-65.htm